# دراسة فی قصائد أبی ماضی التفاؤلیة

فاطمه قادری
عضو هیأت علمی گروه ادبیات عرب دانشگاه یزد
(دانشجوی دورهٔ دکتری)

## المستخلص

إن الهدف من کتابة هذه المقالة، دراسة اشعار إیلیا ابی ماضی التفاؤلیة، إذ نحن نری فی دیوانه قصائد نستنبط منها نظرته التفاؤلیة فی الحیاة و یظهر لنا أنه فی مختلف اطوار شعره و حیاته شاعرُ التفاؤل.

انه یری أن الحیاة جمیلة والطبیعة مفعمة بعناصر الجمال. والانسان یجب أن یفکر فی واقعیة الوجود و أن یتمتع بمحاسن هذاالوجود ولا ینظر الی الماضی الذی قد مضی و لا الی المستقبل الذی لم یأت بَعد، فعلیه أن ینظر الوجود بحیث أن یستفید من فرح الحیاة و جمالها، دون ان یفکر فی آلامها.

و یعتقد أن السعادة لیس لها وجود حقیقی، کما أنه لیس «للعنقاء» وجود حقیقی، بل وجودالسعادة نسبی فی کل انسان، فالانسان هوالذی یُسعد نفسه أو یَشقیها فان کانت نفسه جمیلة رأی الوجود جمیلاً، و ان کانت قبیحة رأی الوجود قبیحاً.

ففی نظر أبی ماضی یجدر بالانسان أن یغتنم الحیاة و یستمتع بنعیمها کما یقول:

إن الحیاة قصیدةٌ، أعمارُنا ابیاتُها والموتُ فیها قافیة
متّع لحاظک فی النجوم و حسنها فلسوف تمضی والکواکب باقیة[1]

فیستسلم للقضاء والقدر و یرضی بما قُدّر له و لکنه فی فلسفته التفاؤلیة لم یکن یجهل آلام الحیاة و هو لا ینسی أن کلّ انسان یصیر الی الزوال، تفاؤله لم یکن خالیاً من الإحساس بالألم و الأسی والقلق و لکنه یحاول أن یُخرج الانسان من حقیقته الزّوالیّة إلی التفاؤل الذی یجعله أن یعیش فی جمالیات الوجود و لا ینظر الی آلامه و احزانه.

فَالشّاعِرُ عندما ینظر الی مصیره یعانی و یواجه فی ضمیره صراعاً بین عوامل التشاؤم و الیأس، فیتقلب بین هذه و تلک، و لکنه فی النهایه یری أنَّ الاستسلام للتشاؤم هوالیأس والموت، و أنّ العیش فی ظل التفاؤل ابعادٌ للیأس والموت (لهما). حیث أنه یوصی من جاء الی هذاالعالم مرغماً، بالابتسام و یقول:

قال: البشاشه ليس تُسعد كائناً يأتي إلى الدنيا و يذهب مرغما
قلتُ: ابتسم مادام بينك والردى شبرٌ فانك بعدُ لن تتبسما

هذا فی حين أن البعض يعتقدون أن البشاشة وحدها لا تجدی ولا تستطيع اسعاد هذاالانسان لأنّها قد تكون مُصطَنَعة فاستحق ابو ماضی أن يلقب باستاذ مدرسه التفاؤل فی الادب العربی، و هذا ما يراه بعضٌ آخر.

## المقدمه

إن الغرض من هذه المقالة دراسة التفاؤل فی بعض قصائد ابی ماضی* و نظرته حول هذا الموضوع. عندما نراجع الديوان يلفت نظرنا بعض العناوين التی تشمّ منها رائحة التفاؤل نحو «ابسمی»، «عش للجمال»، «ابتسم» و غير ذلک. كما نراه يقول:

اذا أنالم أجد حقلاً مريعاً خلقتُ الحقلَ فی روحی و ذهنی
فكادت تملا الأثمارُ كفی و يعبق بالشذا الفواح رُدنی[2]

فهذا يدل علی قدرة الشاعر فی الخلق والابداع و هو مهما كانت الحياة قاسية والواقع مظلماً يبدع الرياض ليرتع فی أفيائها و ظلالها.

يبلغ عددالقصائد التفاؤلية فی الديوان سبع قصائد، و نحن سنعرض نزعة الشاعر التفاؤلية خلال دراسة هذه‌القصائد.

فی بداية البحث قمنا بشرح كلمة التفاؤل لغةً و اصطلاحاً باستعانةالمعجم و بعض كتب علم‌النفس، ثم أخذنا فی‌الكتابة حول القصائد التفاؤلية مرتبةً علی الترتيب التالی:

۱ـ تعريف التفاؤل
۲ـ نزعة الشاعر التفاؤلية
۳ـ تأنيب الشاكين والمتشائمين
۴ـ عدم‌المبالاة بالمصائب والآلام



*. ولد ايليا ابوماضی فی‌المحيدثة بلبنان سنة ۱۸۸۹ م و فی سنه ۱۹۰۲ م انتقل الی الاسكندرية و عمل فی‌التجارة ثم هاجر الی الولايات المتحدة واستغل فی‌الصحافه كما اشترك فی تأسيس الرابطة القلمية و كان علماً من اعلامها و كان من‌الشعراء المهاجرين.
انه فی‌المرحلة الاولی من شعره اتجه اتجاهاً قديماً و فی‌الثانية حاول أن يجمع ما بين الكلاسيكية والرومنطيقية، له عدة دواوين شعرية «تذكار الماضی»، «ديوان أبی ماضی»، «الجداول» و «الخمائل»... توفی ابوماضی سنة ۱۹۵۷ م.

۵ـ الابتسام عند مواجهة المصائب والآلام
۶ـ التمتع بمباهج الحياة
۷ـ الدعوة الی الفرح
۸ـ رؤية الجمال فی مظاهر الطبيعه
۹ـ الاقبال علی التفاؤل للفرار من التشاؤم.

## تعريف التفاؤل

**التفاؤل لغة:** يقال تفاؤل بالشیءای. تيمن به؛ اصله من الفأل والفأل ضدالشؤم و هو مثلاً. أن يكون الرجلُ مريضاً فيسمعَ آخرَ يقول يا سالم أو يكون طالبَ ضالَّة فيسمع آخرَ يقول يا واجد. فيقول: تفاءلْتُ بكذا و يتوجه له فی ظنه كما سمع أنه يبرأ من مرضه أو يجد ضالَّتَهَ و تفاءل: أحسن الظّن.(۳)

**التفاؤل اصطلاحاً:** إن التفاؤل هو أن يطمئن الانسان الی‌الخير فی حاضره، و يؤمله فی مستقبله، فالمتفائل يسير فی حيايه متذرعاً بالصبر، لا يشكو و لا يتبرم، متحلياً بالقناعة لا يكفر بالنعمة إن زادت و لا يتحسر عليها إن زالت، ينشرالسلام و الصفاء بين الناس أينما ذهب فيسری عنهم همومهم اذا ضاقت بها صدورهم و يتمسک بأهداب الأمل اذا لاحت له منه بارقة، و يحمد الدنيا و لو أثقتله اعباؤها، و هو فوق هذاكله يصفح و ينسی ولا يحمل‌الدنيا هماً، فالمتفائل يفكر دائماً فی‌النواحی السّارّة من‌الحياة و من الناس من ينظر الی مستقبله نظرة الثقة والاطمئنان، فهو المتفائل المستبشر الذی يعيش فی نور الأمل أو يرقب الشمس من وراءالغمام.(۴)

## نزعةالشاعر

إن التفاؤل نزعة انسانية عميقة فی نفس‌الشاعر و إن‌كان فی بعضی الاحيان يعلوها غبارالزمن فتغطّيها مسحة من‌الحزن والكآبه و من خلال هذه النزعة التفاؤلية إنّ‌الشاعر قادر علی أن يعيش الحياة فی اطارٍ من التفاؤل و لو أن الامر يقتضيه التجرد من احساسه. يقول:

الحس مجلبة الكآبة والأسی ... قم نطلق من عالم‌الاحساس
و أری السعادة لا وصول لعرشها ... إلا بأجنحة من‌الوسواس(۵)

فی رأی أبی ماضی أن السعادة من صنع الانسان و فکره و لا تفرض علیه من الخارج، فالانسان هو الذی یصنع سعادته بیده، کما جاء فی کتب علم النفس إن السعادة کالمصباح الذی إضاعته أو اطفاءه بید الانسان.(۶)

ربما کان الانسانُ غنیاً ساکناً فی القصور و لکنه یفکر دائماً بمن یعلوه بماله و ما یستمتع به من مواهب الحیاة فیحسده یطمع فی ماله و یحقد علیه یتمنّی له الشر والزوال و یعیش دائماً فی ألم و مصیبة، و ربما کان المرء فقیراً ساکناً فی کوخ و لکنه یعتبر الحیاة خیراً و برکة فلا یطمع فی شیئ ولا یحقد و لا یحسد و یرضی و یقنع بما حصل علیه من العیش الیسیر و یعتبره نعمةً و یحسّ بالسعادة فالسعادة أو الشقاء فی نفس الانسان و فکره، و علی المرء أن یعود الی نفسه و فکره حتی یجد السعادة، فی رأیه ان الانسان ینبغی له أن یقبل الحیاة کما قدرت له و ان یرضی بما کتبه القضاء له، فهذا هو التفاؤل و أبو ماضی یحضُّ مخاطبیه علی هذا التفاؤل.

## تأنیب الشاکین و المتشائمین

و اصدق مثال علی النزعة التفاؤلیة التی تُبرز جمال الحیاة و بهائها قصیدته «فلسفة الحیاه».



انه یخاطب فی مطلع قصیدته المتشائمین من الناس الذین لیس لهم سوی الشکوی من الحیاة والخوف علی المستقبل والبکاء علی مافات، یشکون دائماً من العلل والامراض و اجسامهم صحیحة سلیمة. بقوله:

ایهذا الشاکی و ما بک داء کیف تغدو اذا غدوت علیلا(۷)

یخاطب الشخص الذی طُبِع علی التشاؤم و یؤنبه علی الشؤم الذی یلتزمه و یتساءل عن حاله اذا به داء ثم یقول:

إنّ شرّ الجناة فی الناس نفسٌ تتوقی قبل الرحیل الرحیلا
و تری الشوک فی الورود و تعمی أن تری فوقه الندی إکلیلا(۸)

الرحیل الذی یلمح الیه الشاعر هو رحیل الموت، فمن خشی الموت قبل أن یموت و فکّر فی یوم رحیله عن الدنیا قرب اجلَه بیده و من نظر الی الورود و ما رأی سوی الاشواک فی ساقها فکره قطرات الندی علی أوراقها کان جانیاً علی نفسه، فعلی الانسان ان یتغلب علی هذا الشر بخیر شامل و یجعل ذلک الخیر هدفه فی الحیاة، و سبیل ذلک

التفاؤل، فلا یری فی‌الریاض اشواکاً بل الازهار الجمیلة. کما یقول:

والذی نفسه بغیر جمال — لا یری فی الوجود شیئاً جمیلاً

صاحب النفس الجمیلة یری کلَّ شیء من حوله جمیلا حتی و لو کان قبیحاً حقاً، و صاحب النفس المظلمة لیست حیاته إلا ظلاماً بالظلام. فالجمال کائن فی نفس‌الانسان و من حرم هذه النعمة حُرِم السعادة الحقیقة.

## عدم المبالاة بالمصائب والآلام

کلما وجدالانسان نفسه منطلقة فی رحلة، لا یحسن له أن یخشی علی انقضاء الایام واللیالی، بل علیه ان یتمتع بکل لحظة و ساعة و ینعمَ بما قُدّر له من‌العمر دون أن یسمَحَ للغد أن یکدِّر علیه طمأنینة الحاضر. ان یتمع بصبح الحیاة من غیر أن یفکر بأن الصبح سیتحول الی‌المساء و اذا أصابه هم أو غم خلال الایام القصیره من عمره، علیه أن یقصِّر الحدیث عنه.

فتمتَّعْ بالصبح مادمتُ فیه — لا تخف أن یزولَ حتی یزولا

و اذا ما اظلَّ رأسک همٌ — قصّر البحث فیه کی لا یطولا[۱۰]

و یجب علی‌الانسان أن یحتذی حیاة الطیور، فحیاتها متصلة بالمصائب والمخاطر ففی الفضاء خطر الصقور و فی‌الارض خطرُ الصیادین و لکنها لا تنقطع عن الانشاد لیقینها بأن ذلک الانقطاع لن یجعل من عمرها القصیر عمراً طویلاً، و یقول:

تتغنی و الصقْر قد ملک الجوَّ — علیها، والصائدون السبیلا

تتغنی و عُمرها بعض عامٍ — أفتبکی و قد تعیش طویلا

فهی فوق‌الغصون فی‌الفجر تتلو — سورالوجد والهوی ترتیلا[۱۱]

و لیس معنی ذلک أنه لا یقرُّ بوجود الهم والألم فالذی بَلا الهمَّ و خبره، یعرف موقعَه من نفسه کما یقول:

لیس یدری الهم غیرُ المبتلی — طال جنج اللیل أو لم یَطُلِ[۱۲]

و لکنه یرید ان یحارب هذا الهم والألم و انه بهذه القصیدة یقاوم تیار التشاؤم الذی کان صاعداً فی اعقاب الحرب العالمیة الاولی، و قد حوّل الناس عن کل ما یُفرح و یبهج، و صرفهم الی الکآبه والیأس والمرارة و کانت هذه القصیدة صوت المقاومة للألم و التشاؤم[۱۳] فالذی نستنتج من رأی أبی ماضی هو أن نتمتع من‌الحیاة و لا نفکر فیها و فی

آلامها، إذ إنّ الحياة جميلة و جمالها يرتبط بالنفس و ان الانسان هو الذی ينغص عيشه بيده.

## الابتسام عند مواجهة المصائب والآلام

الابتسام من الطرق التی يحدث الرضا والسرور فی نفس الانسان.(۱۴) فنری فی قصيدة «ابتسم» التی استهلها الشاعر بقوله:

قال: السماء كئيبة و تجهما قلتُ: ابتسم يكفی التهجم فی السماء(۱۵)

امثلة بارعة تظهر فيها قدرة الشاعر علی أن يری فی كل شر خيراً، ولا يری فی أی شرٍ شراً، ثم يقول فی البيت الثانی:

قال: الصبا ولی فقلتُ له ابتسم لن يرجع الاسفُ الصبا المتصرما(۱۶)

انه بدلاً من أن يبكی علی انقضاء زمن الصبا يبتسم، لعله ينسی بابتسامه هذا الواقعَ المرير الذی يواجهه.

قال: التی كانت سمائی فی الهوی صارت لنفسی فی الغرام جهنّما

خانَت عهودی بعد ما ملكتها قلبی فكيف أطيق أن أتبسما

قلتُ: ابتسم و اطربَ فلو قارنتها قضَّيت عمرک كلَّه متألّما(۱۷)

إن صدود المحبوبه و هجرانَها و عدم ايفائها بالعهد خَلَّف فی قلوب العاشقين الاحزان والآلام و الشاعر يطلب منهم الابتسام كی ينسوا هذه الاحزان. و يوجهُ من خلال هذه‌الابيات نصائحه و ارشاداته الی جميع العاشقين الفاشلين فی الحب(۱۸)!

ثم يتحدث عن الازمة الاقتصادية التی اجتاحت الولايات المتحدة مدة اربع سنوات و بلغت أوج الشدة، نراه يشبه التجارة بالمسافر السائر فی الصحراء، و كاد يقتله العطش كما يشبهها بغادة مسلولة محتاجة الی الغذاء كلما تنفست لتخفف آلامَها تزداد حالتها سوءاً و ينزف الدم من صدرها و الاطباء عاجزون عن معالجتها و عن القضاء علی هذا المرض(۱۹). و يقول:

قال: التجارة فی صراعٍ هائلٍ مثلُ المسافر كاد يقتله الظما

أو غادةٍ مسلولةٍ محتاجةٍ لدمٍ و تنفث كلّما لهثت دما(۲۰)

و فی رأی ابی ماضی لاحيلة للمتضررين من التجاره الا اللجوء، الی النسيان و لا يتحقق ذلک إلا بالابتسام فی وجه المصائب و كما أنه وصف الابتسام للمتضررين كذلک وصفه لنفسه عندما وجد الاعداء حوله يحاولون هلاكه و يقول:

قال: العدی حولی عَلت صیحاتهم — أأسر والاعداء حولی فی الحمی؟
قلتُ: ابتسم لم یطلبوک بذِمّهم — لو تکن منهم أجلّ و أعظما[۲۱]

یوصی الانسان بالابتسام والفرح عندما المّت به مصیبة، و حلّت به نکبة، بحیث اذا رأی الحزین الباکی تبسمه الذی لجأ الیه لینسی بواسطته الکوارث، زال عنه الحزن و شارکه فی الفرح والابتسام. یقول:

قال: اللیالی جرعتنی علقماً — قلت: ابتسم و لئن جرعت العلقما
فلعلَّ غیرَک إن رآک مرنماً — ترک الکآبة جانباً و ترنّما
أتراک تغنَمُ بالتبرم درهماً — أم انت تخسر بالبشاشة مغنما[۲۲]

ان الانسان لن یخسر شیئاً بالابتسام بل یربح به اشیاء فلماذا لایحافظ علیه.

فیجب ان تکون فلسفة الانسان الابتسام دائماً مادام حیاً، و علیه أن ینتهز الفرصة قبل أن یصیر الی التراب و فی رأی ابی ماضی ان التشاؤم والتفاؤل مرجعهما الی الانسان فإن قبل الحیاة کما قدرت له ابتسمت و اشرقت نفسه و ان لم یقبلها اظلمت نفسه و یئست.

## التمتع بمباهج الحیاة

و اما فی قصیده «المساء» فنراه یخاطب امراة سماها «سلمی»، و یبدو أنه یخاطب والدته التی کان اسمها سَلمی، لکن بعض الادباء یزعمون أنه یخاطب فتاة اسمها سلمی[۲۳]، فیخاطبها فی مطلع قصیدته هذه، بقوله:

سَلْمی... بماذا تفکرین؟
سَلْمی... بماذا تحلُمین[۲۴]

جلست سلمی عندالمساء واضعةً رأسها بین یدیها و هی حزینة کئیبة اکتئاباً شبیهاً باکتئاب العاشقین، تشاهد اعلام المستقبل المجهول التی تلوح أمام عینیها فی حین کان ابوماضی یشاهد اعلام المستقبل البعید الباسم. فیطلب من مخاطبته أن لا تفکر فی المستقبل الغامض و اعلامه التی تلوح امام عینها و رؤیتها هی التی جلبت له کثیراً من الحزن والألم و یطلب منها أن تغتنم کل فرصة سنحت لها من الاصغاء الی صوت الجداول واستنشاق عبیرالازهار، و التمتع بمناظر الشّهب فی الافلاک قبل أن یفوت الأوان.[۲۵] فیقول:

فاصغی إلی صوتِ الجداول، جاریاتٍ فی السفوح
واستنشقی الازهارَ فی الجناتِ مادامت تفوح

و تمتَّعی بالشُّهب فی الافلاک مادامت تلوح
من قبل أن تأتی زمان کالضباب أوالد خان
لا تُبصرین به الغدیر
ولا یلذُّ لک الخریر

إنه یدعوها الی استماع خریرالماء فی الجداول لأنه یثیر فیها حالة الفرح و الطربَ، ثم یذکر الازهار والشهب و یدعوها الی أن تحیا فی الواقع الحاضر و أن لا تهلک نفسها لهموم المستقبل فان الغد یَغشَی الحاضرَ بالضباب أوالد خان، و هو الهرم و الموت للانسان، فاذا لم‌یتمتع بحاضره یسلب الغد قدرته علی التنعم والفرح.

## الدعوة الی الفرح

و فی مقطع آخر من قصیده «المساء» راح ابو ماضی ینصح و یرشد مخاطبته کی تظلل سعیدة مرتاحة البال فی شبابها أو شیخوختها حیث یقول:

لتکُنْ حیاتُک کلها أملاً جمیلاً طیباً
ولْتملأ الاحلامُ نفسَک فی‌الکهولة والصبا
مثلَ الکواکب فی‌السماء وکالا زاهر فی الربا
لیکُنْ بأمر الحبَ قلبک عالماً فی ذاته
ازهارُه لا تذبلُ
و نجومه لا تأفل(۲۷)

یدعوها دعوة التفاؤل و یطلبُ منها أن تعیش فی هذاالزمن بعد وصولها الیه بالأمل الطیب والاحلام الجمیلة اذ لا شیء سواهما یضمن لها السعادة فی زمن الشیخوخة، و ان تتنعّم بنعیم الحب الذی لا تذبل ازهارُه و لا تغیب نجومُه.

ثم یختم قصیدته ناصحاً ایاها بعدم التأمل فی‌الحیاة و ما فیها من آلام إذ ان التاملّ فی الحیاة و آلامها لا یُبَّعدها عنها بل تتضاعف و تنفذ فی صدرها بحیث لاتستطیع ان تقتلعها من صدرها بسهولة. و یقول:

ماتَ النهارُ ابن الصباح فلا تقولی کیف مات
إن التأمل فی الحیاة یزیدَ أوجاعَ الحیاة
فدعی الکآبة والأسی و استرجعی مرَح الفتاة

قد کان وجْهک فی الضحی مثل الضحی متهللاً
فیه البشاشة والبهاء
لیکن کذلک فی المساء[۲۸]

إن الشاعر یدرک أن الصباح یولد لیموت، ولکنه مع ذلک یدعو الی الامتناع عن التفکیر فی الحیاة لئلا تتضاعف آلامُها.

فی قصیده «ابسمی» لون آخر من الوان التفاؤل و اذا أمعنّا النظر ادرکنا أنه کیف یستطیع الانسان أن یخلع علی کل مظهر من مظاهرالحیاة بهجةً ما بعدها بهجة و جمالاً ما بعدها جمالٌ. یقول:

ابسمی کالورد فی فجر الصباء — و ابسمی کالنجم إن جُنّ المساء
و اذا ما کفن الثُلج الثری — و اذا ما استتر الغیمُ السماء
و تعری الروضُ من أزهاره — و توارى النورُ فی کهف الشتاء
فاحلمی بالصیف ثم ابتسمی — تخلقی حولک زهراً و شذا
و إذا سرَّ نفوساً أنها — تحسُن الأخذ فسُرِی بالعطاء
و إذا أعیاکِ أن تعطی الغناء — فافرحی أنک تعطین الرجاء[۲۹]

ابوماضی یؤمن بأنِ المرءَ قادرٌ علی أن یصوغ فی داخله عالماً من الحلم بدلاً عن الواقع، و یعتقد أن النفس و ان غطّی عالمَها الخارجی ثلجُ القُنوط و غیومُ الهم و تعری روض عمرها من أزهار الأمل فلها ربیعها فی الداخل و روضها و هذا یدل علی تفاؤله «لأن المتفائل لا یسعی وراء الحقیقه و لکنه یسعی وراء تحقیق آماله و احلامه و إن کانت تلک الآمال والاحلام اقرب الی الاوهام منها الی الحقائق.[۳۰]

## رؤیةالجمال فی مظاهر الطبیعه

کفی بالمرء کی ینال الفرح والرجاء أن ینعم بجمال الطبیعة و جمال النجوم فی السماء والازهار فی الارض و ألق الغروب الذی یسکب اشعة الذهب و لیُصغ الی خریرالمیاه الجاریة فی السواقی و لیتأمل البرق الذی یضحک فی السماء و ابو ماضی یقول:

عِش للجمال تراه العین مؤتلقاً — فی أنجم اللیل أو زهر البساتین
و فی الربی نصبت کف الاصیل بها — سُرادقاً من نضارٍ للریاحین
و فی السواقی لها کالطفل ثرثرة — و فی البروق لها ضحک المجانین

لا حـــین للـحسن، لاحـدٌ یـقاس بـه و انـــما نـــحن اهـلُ الحـد و الحـین
خـــیرٌ و افـضلُ مـمّن لا حـنین لهـم الی‌الجـــمال، تـماثیل مـن‌الطـین[۳۱]

فالحسنُ شائع فی کل مظاهرالحیاة دون حصر و حد، و الشاعر یـذکر بأن مـن لا یخفق قلبه بحب الجمال، أحری به أن یکون تمثالاً من طین.

## الاقبال علی‌التفاؤل للفرار من‌التشاؤم

ان ابا ماضی لم یکن خالیاً من القلق و الحیره و الاحساس بالألم و لکنه یقبل علی التفاؤل لیهربَ من‌التشاؤم، فالتفاؤل هو الملجأ الذی یجد فیه راحـة قـلبه مـن الخـواطـر المؤلمة، لانه عاجز من حل الغاز الوجود و فهم اسراره ولا یدری الکون؟ والفلک؟ و ما الطبیعه؟ و متی بدأت و متی تنتهی؟ من أین جئنا و الی أین نذهب؟ ما هو الموت؟ و لا یجد جواباً لکل سؤال یخطر بباله فهو حیران.

والقصیده التی تصور هذه‌الحیره، قصیده، «طلاسم»[۳۲] التی یستهلها بقوله:

جئت لا اعلم من أین ولکـنی أتـیتُ
و لقد ابصرتُ قدامی طریقاً فمشیت
و سأبقی ماشیاً إن شئت هذا أم أبیت
کیف جئتُ؟ کیف ابصرتُ طریقی؟
لستُ أدری

یقول انه لا یعرف مصدرالوجود و لکنه یعرف حیاته التی لم یکن له فیها رأی و لا اختیار ولا ارادة. فیلجأ الی‌البحر یسأله عن سره و لا یجد عنده جواباً ثم الی الدیر و لکنه لا یصل الی جواب یشفی حیرته و قلقه بل یجدهما حائرین یقول:

قد دخلتُ الدیرَ استنطق فیه النا سکینا
فـاذا القـوم مـن الحیرة مـثلی بـاهتونا
غـلبَ الیأس عـلیهم فـهم مستسلمونا
و اذا بـــــالباب مکـــتوبٌ عـــلیه
لستُ أدری

ثم ینتقل الی المقابر یسأل عن‌الموت هل هو فناء و لابعث و لانشور و لاقیام بعده و لا یجد جواباً سوی «لست ادری» و یری أن کل ما حوله لا یدری شیئاً ممّا حوله حتی

مظاهرالطبیعة کما یقول:

قد رأیت الشهب لا تدری لماذا تشرق
و رأیت السحب لا تدری لماذا تغدق
و رأیت الغاب لاتدری لماذا یورق
فلماذا کلها فی‌الجهل مثلی؟
لستُ أدری

و ینظر و یجد انه لافرق بینه و بین‌الطیر و النمل والزواحف، لجمیعها شراب و طعام و قوت، تحیا و تموت و حیاتها طویلة أو قصیرة و یری أنه کالصهباء فهو مثلها سجین طین و هی لاتفقه معناها و وجودها یقول:

کلّها مثلی تحیا کلها مثلی تموت
و لها مثلی شراب و لها مثلی قوت
و انتباه و رقاد و حدیث و سکوت
فبما أمتاز عنها لیت شعری
لستُ أدری
قد رأیتُ النملَ یسعی مثلما أسعی لرزق
و له فی‌العیش او طار و حق مثل حقی

الی أن یقول:

انا کالصهباء لکن أنا صهبائی و دنّی
أصلُها خافٍ کأصلی سجنها طین کسجنی

و یختم القصیدة و لا تزال الغاز الوجود لا یُحلّ.

إننی جئت و أمضی و انا لا أعلمُ
انا لغز و ذهابی و مجیئی طلسم
والذی أوجد هذا اللغز لغز مبهم
لا تجادل ذا الحجی من قال إنی
لستُ أدری

فابو ماضی حائر قلق لا یقدر أن یفهم الوجود و کله الغاز، فیری أنه لا سبیل له الا اللجوء، الی‌التفاؤل.

## النتيجه

ما نستنتج من هذه القصائد أن نظرة الشاعر الی الحياة و مصائبها و آلامها و اسرارها نظرة تفاؤلية يقاوم بها النظرة التشاؤمية و مع أنه لا ينكر المصائب والآلام ولكنه يعتقد أن علی الانسان أن ينظر الی الحياه بمنظار التفاؤل و لا يفكر فی ما مضی و لم يأت حتی لا يكدّر حياته الحاضرة.

و يبلغ الشاعر فی ذروه الابداع والقدرة علی التفاؤل عند ما يری فی جهنم أنها ليست اكثر من فكرة تاجر و لا يمكن أن يخلق الله للناس شقاء و يقول:

كم روّعوا بجهنم ارواحنا ... فتألمت من قبل ان تتآلما
ليست جهنم غير فكرة تاجر ... الله لم يخلق لنا الا السماء(۳۳)

الهوامش

۱. الديوان ـ قصيدة «ان الحياة قصيدة»، ص ۸۲۸.
۲. نفسه، قصيدة «وقائلة»، ص ۷۲۱.
۳. ابن منظور، لسان‌العرب، باب‌الفاء، المعجم الوسيط حرف الفاء.
۴. سمير عبده، مشكلات الانسان فی‌التحليل النفسی، ص ۱۰۸ و ۱۰۹.
۵. الديوان، قصيدة «لم يبق غير الكاس»، ص ۴۷۵.
۶. ژرژباربارن، التفاؤل (خوش‌بينی)، ص ۱۴.
۷. الديوان، قصيدة «فلسفة‌الحياة»، ص ۶۰۴.
۸. نفسه، نفس القصيدة، ص ۶۰۴.
۹. نفسه، نفس القصيدة، ص ۶۰۴.
۱۰. نفسه، نفس القصيدة، ص ۶۰۴.
۱۱. نفسه، نفس القصيدة، ص ۶۰۴.
۱۲. نفسه، قصيدة «بنت سوريه»، ص ۵۶۷.
۱۳. عبداللطيف شراره، ايليا ابوماضی، داربيروت، ۱۹۸۲ م، ص ۲۵.
۱۴. ژرژباربارن، ا لتفاؤل، ص ۸۲.
۱۵. الديوان، قصيدة «ابتسم»، ص ۶۵۵.
۱۶. نفسه، نفس القصيدة، ص ۶۵۵

۱۷. نفسه، نفس القصیدة، ٦٥٥

۱۸. عفیف نایف حاطوم، ایلیا ابوماضی، دارالثقافه، بیروت، الطبعه‌الاولی، ۱۹۹۴ م، ص ۲۴۹.

۱۹. نفسه، ص ۲۴۹.

۲۰. الدیوان، قصیدة «ابتسم»، ص ٦٥٥.

۲۱. نفسه، ص ٦٥٥.

۲۲. نفسه، ص ٦٥٥.

۲۳. عفیف نایف حاطوم، ایلیا ابوماضی، ص ۹۷.

۲۴. الدیوان، قصیدة «المساء»، ص ۷٦۴.

۲۵. عفیف نایف حاطوم، ایلیا ابوماضی، ص ۱۰۰.

۲٦. الدیوان، قصیدة «المساء»، ص ۷٦۷

۲۷. نفسه، نفس القصیدة، ص ۷٦۷.

۲۸. نفسه، نفس القصیدة، ص ۷٦۸.

۲۹. نفسه، قصیدة «ابسمی»، ص ۱۲۴.

۳۰. سمیر عبده، مشکلات الانسان فی التحلیل النفسی، ص ۱۰۷.

۳۱. الدیوان، قصیدة «عش للجمال»، ص ۷۲۳.

۳۲. نفسه، قصیدة «طلاسم»، ص ۱۹۱.

۳۳. نفسه، قصیدة «کن بلسماً، ص ٦٥۹.



## المراجع

۱. ابن منظور، لسان العرب، دار بیروت للطباعة و النشر.

۲. ایلیا ابوماضی، دیوان، دارالعودة، بیروت، ۲۰۰۰ م.

۳. ژرژباربارن، التفاؤل (خوش‌بینی)، مترجم: هوشیار رزم‌آزما، سپنج، تهران، الطبعة الاولی، ۱۳۷۱ ه.ش.

۴. سمیر عبده، مشکلات الانسان فی التحلیل النفسی، دارالآفاق، بیروت، الطبعة الاولی، ۱۴۰۲ ه. ۱۹۸۲ م.

۵. عبداللطیف شراره، ایلیا ابوماضی، دار بیروت، ۱۹۸۲ م ـ ۱۴۰۲ ه.

٦. عفیف نایف حاطوم، ایلیا ابوماضی، دارالثقافة، بیروت، الطبعة الاولی، ۱۹۹۴ م، ۱۴۱۴ ه.

۷. مجموعة من‌المؤلفین، المعجم الوسیط، مکتب نشر الثقافه الاسلامیه، الطبعة الثالثه، ۱۴۰۸ ه.